أثر الأصوات في البنية الصّرفيّة
البنى المعتلّة أنموذجًا

د. خالد شاكر حامد

الأستاذ المساعد في كلّيّة الإعلام/ الجامعة العراقيّة

Effect of sounds in morphological structure vowels structures as a model

Ph.D. Khalid Shakir Hamid
Assistant Professor at the Faculty of media/ Iraqiya University
Baghdad-Iraq

مستخلص

حاولت هذه الدّراسة تسليط الضّوء على التّحوّلات الصّوتيّة في المعتلّ من الاسم أو الفعل، ومناقشة ما يجري في البنية الصّرفيّة في ضوء علم الأصوات الحديث.

عند النّظر بعمق في التّحليلات التّقديريّة للقضايا الصّرفيّة في كتب التّراث، نجد كثيرًا من هذه التّقديرات يستوعب الأثر الذي تحدثه الأصوات في تفسير التّغيّرات الصّرفيّة، غير أنّهم أقاموا تلك التّقديرات والتّحليلات للبنى الصّرفيّة على منهج التّأويل والافتراض، فجاءت تفسيراتُهم في جوانب كثيرة منها قريبة إلى التّعقيد وعدم الوضوح. وبناءً على ذلك نحاول في هذه الدّراسة أن نبسط المفاهيم الأساسيّة للدّرس الصّرفي الحديث، ونطوّر النّظر والبحث عن طريق تفسيرها تفسيرًا صوتيًّا موصلاً بما توصّل إليه علم الصّوت الحديث.

Abstract

This study attempted to highlight the vocal transformations in the name or verb ending with the vowel and to discuss what is going on in the morphological structure based on modern phonology.

When we look deeply at the estimated analysis of morphological issues in heritage books, many of these estimates understand the effect of sounds on the interpretation of morphological changes, but they set up such estimates and analyzes of morphological structures on the interpretation and hypothesis approach. Their interpretations in many respects came close to the complexity and lack of clarity

In this study, we attempt to simplify the basic concepts of the modern morphological lesson, and to develop the consideration and the search by interpreting it in a voice interpretation connected to the findings of modern phonology.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله رحمة للعالمين محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد..فهذه الدّراسة تهدف إلى استقراء الظّاهرة الصّوتيّة في الصّرف العربي عن طريق ربط الصّرف بالصّوت لتحليل البنى الصّرفيّة. لقد تبيّن لعلمائنا قديمًا وحديثًا عمق العلاقة بين التّغيّرات الصّرفيّة في بناء الكلمة والإجراءات الصّوتيّة، غير أنّ المتقدّمين من الصّرفيين

أقاموا تحليلهم للبنية الصّرفيّة على التّأويلات، بمعنى غياب المنهج العلمي للتّحليل، وهذا ليس قصورًا فيهم، بل في الإمكانات البسيطة التي توافرت لهم آنذاك. وبتطوّر الإمكانات والوسائل الحديثة هيّأت لعلماء اللغة المحدثين أن يتوصّلوا إلى نتائج أكثر دقّة في بعض القضايا الصّرفيّة.

تعدّ الأصوات المادّة الأساسيّة للّغة ألفاظاً وتراكيب، وإنّ كثيرًا من تقليبات الألفاظ وتوالد التّراكيب تجري على أنساق صوتيّة محدّدة، لأجل ذلك أقرّت الدّراسات الحديثة أنّ علم الأصوات أساس كلّ دراسة لغويّة سواء أكانت نظريّة أم عمليّة، و ذهبت إلى أنّ الصّرف لا يمكن فهمه حقّ الفهم بمعزل عن الأصوات ، وعلى هذا الأساس عالجت هذه الدّراسة الصّيغ المعتلّة بأسلوب علمي موضوعي وُظّفت فيه معطيات علم الصّوت الحديث لتكون أكثر دقّة و علميّة في تعليل القضايا العلميّة. ونقطة شروع هذه الدّراسة بدأت من الإحاطة بالدّراسات السّابقة حول الموضوع سعيًا منّا لإضافة لبنة جديدة على ما بنوه عن طريق توجيه البنى الصّرفيّة بما يتلائم و معطيات الدّرس الصّوتي الحديث، فجاءت الدّراسة في ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: البنى المعتلّة من المنظور الصّوتي:

أوضحت الدّراسات اللسانيّة الحديثة أنّ دراسة الأصوات تعدّ القاعدة الأساسيّة للدّراسات الصّرفيّة ، وكذلك المستويات اللغويّة الأخرى، وإنّها تمثّل أوّل خطوةٍ في أيّة دراسة لغويّة؛ لأنّها تتناول الصّوت باعتباره المادّة الخام للكلام الإنساني[١]. وبيّنت أنّ الصّرف يعتمد اعتمادًا كبيرًا على الأصوات، وأنّ النّحو يعتمد على ما يقدّمع علم الصّرف من نتائج؛ لذلك فإنّ أيّة دراسةٍ صرفيّة لا تأخذ في الحساب الجانب الصّوتي مصيرها الفشل، وهذا ما أكّده أحد الباحثين الغربيين بقوله ((إنّ موضوع تخصّصي – أي علم الأصوات – موضوع غير ذي جدوى بذاته، لكنّه في الوقت نفسه أساس كلّ دراسة لغويّة سواء أكانت الدّراسة نظريّة أم عمليّة))[٢]. ويؤكّد الدكتور كمال بشر على أنّ الحقائق التي يفرزها الدّرس الصّوتي لايمكن الاستغناء عنها في البحث الصّرفي، فالرجوع إلى تلك الحقائق ضرورة من الضّرورات[٣] . لذا أمكننا القول أنّ الصّرف من أشدّ المستويات اللغويّة التصاقًا بالأصوات، وصور هذا الالتصاق متعدّدة، أبرزها المقطع وما يؤدّيه من دور بالغ في معالجة العديد من القضايا الصّرفيّة. ومن أشهر الأمثلة التي يمكن أن تُعالَج بطريقة مغايرة هو فعل الأمر من الثلاثي الأجوف[٤]. فدور المقطع لايمكن إنكاره في تفسير الكثير من التّغييرات الصرف– صوتيّة، ومن الأدلّة التي تؤكّد ذلك هو نفور العربيّة من المقطع المديد (ص ح ح ص) وتحويله أينما وجد إلى مقطعٍ طويل (ص ح ص)[٥]، وبهذا التّحوّل نستطيع أن نفسّر طبيعة التّحوّلات التي تحدث في البنى الصّرفيّة. فالنّظام المقطعي يفسّر لنا التّحوّلات الصّوتيّة التي تلحق بالفعل المضارع الأجوف في حالة الجزم، فقد ذهب علماء العربيّة إلى أنّ جزم الفعل المضارع الأجوف يكون بحذف حرف العلّة واوًا أو ياءً أو ألفًا بسبب التقاء السّاكنين[٦]. والحقيقة الصّوتيّة لما حدث في الفعل المضارع الأجوف عند

دخول أداة الجزم هو اختصارٌ كمّيٌّ للحركات الطّويلة؛ لأنّ المقطع المكوّن من صامتٍ وحركة طويلة و صامت نادرٌ في العربيّة ويرد كثيرًا عند الوقف[٧] والكتابة الصّوتيّة توضّح ذلك:

يقولُ ← لَم يَقول ← لَم يَقُل

يَـ / قـُـ / لـُ ← لـَ م / يـَ / قـُـ لـ ← لـَ م / يـَ / قـُـ لـ

ص ح / ص ح ح/ ص ح ← ص ح ص/ ص ح / ص ح ح ص ← ص ح ص / ص ح / ص ح ص

فالذي حصل هو إعادة للتشكيل المقطعي بما يتناسب والنّظام المقطعي للّغة العربيّة. ويصدق القول على جزم الفعل المضارع النّاقص، فالذي ذهب إليه علماء العربيّة أنّ الواو والياء تسقطان من الفعل حال دخول أداة الجزم[٨]، والصّحيح في نظر علم الصّوت الحديث أنّهما قُصِّرتا بحذف جزء من الحركة وبقاء الجّزء الآخر لإتمام المقطع[٩] . ويسري هذا القانون الصّوتي المقطعي على الأفعال النّاقصة عند اتّصالها بتاء التأنيث السّاكنة[١٠]. فنهاية الأفعال (سعى، رمى، دعى) هي حركات طويلة، وجميعها مؤلّفة من مقطعين، الأوّل (ص ح) والثاني (ص ح ح)، فعند اتّصالهم بتاء التأنيث السّاكنة يتشكّل المقطع (ص ح ح ص)، وللتخلّص من الثقل الناشئ عن هذا المقطع يُصار إلى تقصير الحركة الطّويلة كما موضّح في الكتابة الصّوتيّة:

رَمى: رَ / مـَـَ ← رَمى + ت : رَ / مـَـَ ت ← رَمَتْ : رَ / مَ تْ

ra/maa : ص ح / ص ح ح ← ra/ maat : ص ح/ ص ح ح ص ← ra/ mat : ص ح/ ص ح ص

فنلاحظ أنّ تقصير الحركة الطويلة (الألف) جاء لتفادي حدوث المقطع المديد المرفوض.نخلص إلى أنّ فكرة المقاطع وانواعها تضطلع بدور مهم في تفسير التّحوّلات الصرف– صوتيّة في بنية الكلمة العربيّة. لم يكن العرب القدامى بمنأى عن معرفة المقطع وماهيته ، فقد وردت في التّراث اللغوي العربي إشارات صريحة وواضحة تدلّل على معرفة العرب بالمقاطع ، لكن ذلك لم يتعدَّ الفكرة والمفهوم ، ووردت هذه الإشارات على أيدي عدد من الفلاسفة والأطبّاء وعلماء الكلام العرب، ومنها إشارة الفارابي (ت ٣٩٣هـ) الذي صرّح بأنّ المقطع ((حرف مصوّت وحرف غير مصوّت))[١١] ، بمعنى أنّ المقطع هو حصيلة اقتران الصّامت بالصّائت. ومن أقوال المتكلّمين التي تجعل القارئ يشعر بفهم صاحبها بحقيقة المقطع كما تعرفه اللسانيّات الحديثة وإن لم يصرّح بلفظ الكلمة قول القاضي عبد الجبّار بأنّ ((الكلام هو الصّوت المقطّع الواقع على بعض الوجوه، وإبطال القول بأنّ الكلام غير الصّوت يدلّ على ذلك استحالة وجود الكلام المعقول عاريًا من الأصوات المقطّعة، واستحالة وجود الأصوات عارية من الكلام، ولو كان أحدهما غير الآخر لم يمتنع ذلك فيهماعلى بعض الوجوه))[١٢]. ومن الفلاسفة الذين تناولوا المقطع الصّوتي بالمفهوم الصّوتي الحديث هو ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) [١٣] . وعلى نهج الإثنين يطلّ علينا فيلسوف آخر هو ابن رشد

(ت ٥٩٥هـ) الذي يُعدّ أوّل من أشار إلى حقيقة التّقسيم المقطعي[١٤]، فهؤلاء جميعهم عرفوا أنّ المقطع يتألّف من الصّوامت والصّوائت، ونخلص إلى أنّ مفهوم المقطع كان معروفًا منذ القرن الرّابع الهجري عند العلماء العرب، لكنّهم لم يقدّموا دراسة علميّة شاملة حول المقطع بمفهومه الاصطلاحي المعاصر، ولم يفصّلوا القول في أقسامه وأحواله ولم يفيدوا من معطياته في تفسير قضايا اللغة [١٥]. و لنا أن نؤشّر على ظاهرة صوتيّة أخرى هي المماثلة، وهي من العمليّات الصّوتيّة التي تفسّر الكثير من التّحوّلات التي تجري في أصوات الصّيغ المعتلّة. والمسوّغ الصّوتي من وراء حدوث هذه الظّاهرة هو إبراز التّماثل الصّوتي بغية التقارب في الصّفة والمخرج اقتصادًا في الجهد العضلي المبذول[١٦] . وتعرّف المماثلة بأنّها ((التّعديلات التكييفيّة للصّوت اللغوي بسبب مجاورته لأصوات أخرى))[١٧]، وتأتي على نوعين:

١-التّماثل التّقدّمي: وهو تأثّر الصّوت الثّاني بالأوّل، ففي صيغة (افتَعَلَ) في الفعل: (صَبَرَ)، تصبح اصتَبَرَ: اصْطَبَرَ بفعل الصّاد المطبقة.

٢-التّماثل الرّجعي: وهو تأثُّر الصّوت الأوّل بالثّاني، وقد سمّاه ابن جنّي الإدغام الصّغير، ومن الأمثلة على ذلك: مجيء الواو والياء بوصفهما نصفي حركة متجاورتينمع التّاء داخل بنية واحدة، وكانت هذه البنية على صيغة(افتَعَلَ) أو أحدى مشتقاتها، فإنّ هذين الصّوتين يتأثّران بصوت التّاء تأثُّرًا رجعيًّا، فينقلبان إلى تاء ثمّ تجري عمليّة الإدغام في الصّوتين[١٨] على النّحو الآتي:

اوتَعَدَ ← اتْتَعَدَ ← اتّعَدَ . وهذا النّوع من التأثّر شائع في الفرنسيّة والعربيّة[١٩]. أشار الدكتور أحمد مختار عمر إلى أنّ مواضع قلب الواو والياء التي يذكرها الصّرفيّون في باب الإعلال تأتي في أغلبها تحقيقًا للمماثلة وتحديداً من النّوع الثاني المماثلة الرجعيّة، نحو: رَضيض، و صيام، و ديار[٢٠]. ومن الجدير ذكره إنّ درجات التأثّر بين الأصوات متفاوتة ولا تنحصر في الأصوات الصّامتة حسب، وإنّما تظهر كذلك في أصوات اللين، وهو ما يطلق عليه انسجام أصوات اللين (vowel harmony)[٢١]. وتتعدّد الظواهر الصّوتيّة في تحليل البنى المعتلّة وتفسيراتها، وسوف نذكرها في مواضعها من الدّراسة. وستبدأ الدّراسة بالأسماء ثمّ الأفعال، وستكتفي الدّراسة بتناول القضايا الشّائعة في البنة الإسميّة والفعليّة المعتلّة لنلبّي ما تطمح إليه الدّراسة من ربط الصّرف بمعطيات علم الصّوت الحديث.

المطلب الثاني: الأسس الصّوتيّة للتّغيّرات الصّرفيّة في بنية الاسم:

تتعرّض بنية الاسم المعتلّ عند تصريفها إلى تغييراتٍ صوتيّة، نحاول في هذا المطلب أن نقف على المسائل الصّرفيّة التي ترافق تغيير بنية الاسم المفرد المعتلّ وبيان رأي علماء العربيّة القدامى وتفسير كل ما يحدث في ضوء علم اللغة الحديث.

أوّلاً- العمليّات الصّوتيّة في تثنية الاسم المعتلّ

١- التثنية في البعد الصّوتي:

التثنية هي ضمّ شيءٍ إلى شيء، وهذا يعني أنّها تشترك مع الجمع ولذلك قيل التثنية أوّل الجموع[٢٢]. تتعدّد التّعريفات التي وردت من العلماء للتثنية ، إلاّ أنّها جاءت متقاربة ، ومحصّلة ما قالوه: أنّ التثنية صيغة مبنيّة للدلالة على الاثنين أو الاثنتين[٢٣].اختلف علماء العربيّة في الزّيادة التي تلحق الاسم عند التثنية هل هي علامات إعراب، أم حروف إعراب؟[٢٤]، غير أنّهم اتّفقوا على جعل الألف حرفًا، وهو من النّاحية الصّوتيّة حركة طويلة كما سنبيّن لاحقًا. عند تثنية الاسم تلحقه زيادتان: الأولى الفتحة الطّويلة والنّون (aan) في حالة الرفع، والثانية الحركة المزدوجة (ayn) في حالتي النصب والجر. هذه اللاحقة عندما تلتصق بالاسم الصّحيح لا تُحدث تغييرا في بنيته الصّوتيّة، فالألف حركة طويلة تتّصل بالصّامت في آخر الاسم الصّحيح المفرد لتصبح علامة إعرابه في حالة الرّفع، والياء علامة للنصّب والجر، ثمّ تلحقهما النّون، وهي حرف لثوي أنفي مجهور ذو قوّة إسماعيّة عالية و قدرة تصويتيّة واضحة[٢٥]، ويتبع صوت النّون صائت الكسر(i)، وقد ذكر النّحويوّن أنّ سبب تحرّك النّون هو التقاء السّاكنَين[٢٦]. أمّا كون تحريك النّون بسبب التقاء السّاكنَين فمردود؛ لأنّ المثنّى في حالة الرّفع ليس فيه التقاء ساكنَين، فالألف ليست حرفًا وإنّما هي حركة، والسكون من أوصاف الحروف. والمسوّغ الصّوتي لتحريك النون هو المحافظة على طول المدّ السّابق للنون في المثنّى في حالة الرّفع، فمجيء النّون بعد المدّ فيه ثقلٌ ، وليس فيه التقاء ساكنين[٢٧]، فإلحاق النّون بالكسر جرى على أساس قانون التّماثل الصّوتي، أي: أنّ صوت الألف يتماثل مع الفتحة لأنّها بعضٌ منه مما يشكّل صعوبة بالغة وثقلًا متآتٍ من استمراريّة المدّ الصّوتي، فهنا يأتي دور القوة السّالبة المتمثّلة بالمخالفة عن طريق الاستبدال النّوعي إلى الكسرة (i) [٢٨] ، والأمثلة الآتية توضّح ذلك:

kitaab + aan → kitaabaan , kitaab +ayn → kitaabayn

وعند إتباع صائت الكسر على النون تصبح:

kitaabaani , kitaabayni

٢- تثنية الاسم المقصور:

اتّفق النّحويّون على حدّ المقصور بأنّه الاسم المعرب الذي في ىخره ألف لازمة[٢٩]، أو هو المنتهي بألف مقصورةٍ[٣٠] مثل (عَصا، و مصطفى).حكمه النّحوي أن يكونَ على صورةٍ واحدة في الرّفع والنّصب والجر، فقد جاء في عبارات القدماء ((إنّ حرف الإعراب إذا كان ألفًا لم يظهر فيه رفعٌ ولا نصبٌ ولا جرّ))[٣١]. وعلّل النّحويون سبب عدم ظهور الحركة بأنّ الألف ساكنة على كلّ حال، وتُقَدَّر فيها الحركات الثلاث[٣٢].

فالاسم المقصور اسمٌ مُعرب وبحسب النّظام المقطعي فإنّ أخرَهُ حركة طويلة (aa) ، وهذا يعني أنّها لا تمثّل حرف الإعراب، لذلك أمكننا القول أنّ القدامى أخفقوا في تقدير الحركات الإعرابيّة على الألف، كما اخفقوا في اعتبارها ساكنة ومسبوقةً بفتحةٍ ؛ لأنّ النّظام المقطعي لا يجيز اجتماع حركتين[٣٣] . أمّا عن عمليّات التّحوّل التي تجري في الاسم المقصور عند إلحاقه بعلامة التثنية فتتّضح عن طريق تصنيف الكلمات المقصورة إلى صنفين:

الصّنف الأوّل : الأسماء التي تقع ألفها بعد حرفين، فعند اتّصال لاحقة التثنية بهذا الصنف من الأسماء تعود الألف إلى أصلها ياءً كانت أو واوًا، وهذا ما عليه قدامى القوم إذ يقول سيبويه: ((فإذا كان المنقوص من بناة الواو أظهرتَ الواو في التثنية، لأنّك إذا حرّكتَ فلابدّ من ياءٍ أو واوٍ فالذي من الأصل أولى، وإن كان المنقوص من بنات الواو أظهرتَ الياء))[٣٤]، مثل : عَصا– عَصَوان لأنّه من عَصَوت[٣٥] .نجد إشارات واضحة عند بعض النّحاة لتفسير أسباب التّحوّل الصّوتي من الألف إلى الواو أو الياء عند التثنية، ومن هؤلاء المبرّد إذ يقول: ((وإنّما فعلتَ ذلك لأنّ ألف التثنية تلحق الألف التي كانت في موضع اللام، وكذلك ياء التثنية وهما ساكنان، فلا يجوز أن يلتقيا فلابدّ من حذفٍ أو تحريك، فلو حذفت لذهبت اللام فحُرّكَت فردَّت كل حيّز إلى أصله، كما كنت فاعلا ذلك إذا ثنّيت الفاعل في الفعل، وذلك قولك : غزا الرّجل و دعا، ثمّ تقول غَزَوا و دَعَوا، لأنّ: لو حذفت لالتقاء السّاكنين لبقي الأثنان على لفظٍ واحدٍ، وتقول رمى و قضى فإذا ثنّيت قلت رَمَيا و قَضَيا))[٣٦].

يُفهم من النّصّ أمران هامّان، الأوّل إنّ علماء العربيّة يرون أنّ ألف التثنية تلحق الاسم بعد حدوث الإعلال، والثاني إنّ ألف المقصور في رأيهم ساكنة فلابدّ من حدوث الإلحاق لسقوط إحداهما، لعدم جواز التقاء السّاكنين. تُعد هذه الرّؤية في التّفسير غير موافقة للدّرس الصّوتي الحديث؛ لأنّ الألف صائت طويل وكذلك ألف الاثنين. والصّوائت حركات. والسّكون من أوصاف الصّوامت. ويمكن ان نوضّح خطوات انقلاب الألف واوًا أو ياء وفق المنظور الصّوتي الحديث بما يأتي[٣٧]:

رفعًا- عَصَوْ : ca/sa/wu ← ca/sa/u ← ca/sa/a ← ca/saa

تسقط شبه الحركة لتشكّل مزدوج صاعد مرفوض ← تتوالى حركتان مختلفتان ← تحوّل الضّمّة إلى فتحة مماثلة وفق قانون المماثلة ← اتحاد الحركتين (حركة طويلة)

نصبًا- عَصَوَ: ca/sa/wa ← ca/sa/a ← ca/saa

تسقط شبه الحركة لتشكّل مزدوج صاعد مرفوض ← تتوالى حركتان متشابهتان ← اتحاد الحركتين (حركة طويلة)

جرًّا- عَصَوِ: ca/sa/wi ← ca/sa/i ← ca/sa/a ← ca/saa

تسقط شبه الحركة لتشكّل مزدوج صاعد مرفوض ← تتوالى حركتان مختلفتان ← تحوّل الكسرة إلى فتحة مماثلة وفق قانون المماثلة ← اتحاد الحركتين (حركة طويلة)

فإذا لحقت علامة التثنية بالصيغة النّهائيّة لـــ(عصا و رحى) في حالة الرّفع فسوف تكون على الصّورة الآتية: عَصا + انِ ← casaa + aani

رَحى + انِ ← rahaa + aani

فتلتقي حركتان طويلتان ((ولابدّ ان يتفادى النّاطق هذا الطّول المخلّ ببناء المقطع العربي، وذلك بعودة لام الكلمة إلى مكانها مع اختصار الحركة في آخر الكلمة إلى نصفها))[٣٨]. فثمّة إجراءات صوتيّة حدثت في بنية الاسم المعتلّ حال اتّصال اللاحقة الصّوتيّة الخاصّة بتثنيته، فيعاد تشكيل البناء المقطعي بتحوّل الفتحة الثانية في (عصى) إلى ضمّة وقعت بعدها فتحة طويلة فتشكّلت الواو بفعل الانزلاق من الضّمّة (u) إلى الفتحة الطويلة (aa) [٣٩]، كما موضّح في الكتابة الصّوتيّة:

عَصا casa(a) + aani → asawa(u) + aani → asawaani

وكذلك في (فتى):

فتى fata(a) + aani → fata(i) + aani → fatayaani

فالتّحوّل طال الفتحة الثانية فتحوّلت إلى كسرة قصيرة فحدث أن اجتمعت هذه الكسرة القصيرة مع الفتحة الطّويلة فتشكّلت بفعل الانزلاق (i+a) ياءً (y). وكذلك الحال في حالتي النّصب والجرّ لاحقة التثنية فيهما هي (ayni) فبزيادتها يحدث تتابع حركي مكوّن من حركة طويلة وأخرى قصيرة ، وهذا ما ترفضه العربيّة من النّاحية المقطعيّة، فيصار إلى تقصير الحركة الطّويلة وعودة لام الكلمة [٤٠] كما مبيّن في الكتابة الصّوتيّة:

casa(a) + ayni → casa(w)ayni

الصنّف الثاني : هو الأسماء التي تقع ألفها بعد ثلاثة أحرف فصاعدًا، فقد جرت العربيّة على توحيد الانزلاق العائد في صورة الياء للتخلّص من التقاء حركتين طويلتين في كلمة واحدة [٤١] نحو:

mustafa(a) + aani → mustafa(y)aani

إذ يتمّ الانزلاق بين الحركتين بعد تقصير الحركة الطّويلةعلى صورة ياء نصف صامت.

أمّا في حالتي النّصب والجرّ فإنّ الانزلاق الحركي يكون على صورة ياءٍ كذلك، ويكون سببه هو التّخلّص من الثّقل النّاشئ عن المقطع المرفوض (ص ح ح ص) وكما موضّح في التقطيع الآتي:

mustafa(a) + ayni	→	mustafaayani	→	mustafayn
مصطفا + ينِ	→	مُصطَفايِنِ	→	مُصطَفَيِن
	→	مـُـ صـ / طـَـ / فـَـ ـا / يـِـ / نـِـ	→	مـُـ صـ / طـَـ / فـَـ ـَـ يـْـ / نـِـ
		ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح ص/ ص ح		ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص/ ص ح

إذ انقسم المقطع المرفوض (ص ح ح ص) إلى مقطعين: قصير مفتوح و قصير مغلق صامت.

٣- تثنية الاسم المنقوص

اتّفق النّحويّون على حدّ المنقوص بأنّه الاسم المعرب الذي في آخره ياء لازمة قبلها كسرة[٤٢] نحو: القاضي و الرّاعي. وحكمه النّحوي أن يكون على صورة واحدة في الرّفع والجرّ بأن لا تظهر عليه الحركة ، بينما تظهر الفتحة في حالة النّصب.وصف النّحويّون القدامى الياء في الاسم المنقوص في حالتي الرّفع والجرّ بأنّها ساكنة[٤٣]، وسبب عدم ظهور علامتي الرّفع والجرّ هو استثقالهما على ياء قبلها كسرة[٤٤] . ممّا يؤخذ على القدامى في هذه النّاحية هو تصوّرهم أنّ المدود يجب أن تُسبَق بحركات تجانسها، والمدود من المنظور الصّوتي الحديث حركات، والحركات لا تسبقها ولا تتبعها حركة ، فلا يجتمع في اللغة العربيّة صائتان. أمّا عن المسوّغ الصّوتي لعدم ظهور الكسرة والضّمّة في الاسم المنقوص في حالتي الجرّ والرّفع فهو استحالة اجتماع حركتين سواء كانتا كويلتين أو قصيرتين أو طويلة وقصيرة كما في الاسم المنقوص[٤٥] .فالاسم المنقوص اسم معرب وبحسب النّظام المقطعي فإنّ آخره حركة طويلة(ii)، وهذا يعني أنّها لا تمثّل حرف الإعراب؛ لذلك أمكننا القول بأنّ تصوّر القدامى للواو والياء المدّيتين في أنّهما حرفا إعراب وتُقَدَّر عليهما الحركة إن لم تظهر بعيدة عن الصّواب. عند اتّصال الاسم المنقوص بلاحقة تثنية الرّفع تلتقي حركتان طويلتان هما الياء المدّيّة (ii) (الكسرة الطويلة)، والفتحة الطّويلة(aa) علامة التثنية ، فينتج عن هذا التّتابع ياء انزلاقيّة وهي في الوقت نفسه صورة لام الكلمة[٤٦] ،وتُقَصَّر الكسرة الطّويلة لتعذّر اجتماع حركتين طويلتين وكما موضّح في التّحليل الصّوتي لكلمة (القاضي):

alqaadii + aani → alqaadiyaani

فتحوّلت الكسرة الطّويلة إلى قصيرة ، ويحدث الانزلاق من الكسرة (i) إلى الفتحة (a) لتتشكّل الياء(y) . وكذلك الحال في حالتي الجرّ والنّصب إذ يحدث الانزلاق بين الكسرة الطّويلة في الاسم المنقوص والفتحة القصيرة في لاحقة التثنية (ayni) فتُشَكَّل الياء الانتقاليّة بعد تقصير الكسرة الطّويلة[٤٧] ، وكما موضّح في التّحليل الصّوتي :

alqaadii + ayni → alqaadiyayni

ثانيًا- العمليّات الصّوتيّة في جمع الاسم المعتلّ جمعا مذكّرا سالما:

١- لاحقة جمع المذكّر السّالم من المنظور الصّوتي:

جمع المذكّر السّالم هو ما دلّ على أكثر من اثنين مع سلامة مفرده[٤٨].اختلف علماء العربيّة في الزّيادة التي تلحق الاسم عند الجمع هي هي حروف إعراب أم علامات إعراب؟ [٤٩] غير أنّهم اتّفقوا على معاملة لاحقة الجمع (الواو والياء) بأنّها حروف، وهو ما لا يتّفق وحقيقة هذه الأصوات فهي أصوات صائتة، والأصوات الصّائتة في النّظام الصّوتي حركاتٌ لذلك لا يمكن أن تُسبَق بحركات مُجانسة لعدم جواز جمع الصّائتَين.المتأمّل في طبيعة الواو والياء من النّاحية الصّوتيّة يجد أنّ الواو هي ضمّة طويلة (uu) وإنّ الياء كسرة طويلة (ii)، ويتّضح ذلك من مقارنة المفرد مع الجمع في **المثال الآتي:**

المفرد: عالِمُ caa/ li/ mu

الجمع: عالِمونَ caa / li / muu/ na ، عالِمينَ caa/ li mii/ na

لذا أمكننا القول أنّ جمع المذكّر السّالم يُرفع بالضّمّة الطويلة ، ويُنصَب ويُجَر بالكسرة الطّويلة[٥٠].

٢- الجمع في صيغ المقصور:

إذا جُمع الاسم المقصور (وهو المنتهي بألف مقصورة) تظهر بعض العمليّات الصّرفيّة لظهور بعض المحظورات الصّوتيّة، ويمكن أن نتبيّن ذلك عن طريق مقارنة الأصل الذي يفترض أن يكون عليه الاسم والبنية التي انتهى إليها الاسم بعد الإلحاق، فمثلاً لو أخذنا كلمة (مصطفى) ونزيد عليها علامة الجمع في حالات الرّفع ، والنّصب ، والجر لكانت: مُصطَفونَ، مصطَفينَ، (mustafuun, mustafiin) والأصل فيهما في حالة الرّفع : مُصْطَفَيونَ mustafayuuna، و مُصطَفَيينَ mustafayiina.أقرّ الصّرفيّون القدامى أنّ السّبب الدّاعي إلى هذه التّحوّلات هو التقاء السّاكنَين، الألف المنقلبة عن الياء المفتوحة و واو الجمع وياؤه فحُذِفَت الألف ، وكان حذفُها أولى لأنّها لم تدخل لمعنى ، وأُبقي على واو الجمعِ ويائه لأنّهما دخلتا لمعنى، وبقي الحرف الذي قبل الألف مفتوحًا للإيذان بالحرف المفتوح[٥١]. ويمكن أن نتبيّن المراحل التي قصدها الأقدمون بالآتي :

أعلى + ونَ : أعلَو + ون ← أعلا + ون ← أعلَون

تعود الألف إلى أصلها — تُقلب الواو ألفاً لِتَحَرُّكِها — تُحذَف الألف لالتقاء السّاكنَين ويؤتى بالفتحة إشعار بحذف الألف

والحقيقة الصّوتيّة أنّ مسألة التقاء السّاكِنَين في هذين الموضعين ليست واردة، وأقرّوها لأنّهم اعتقدوا أنّ الألف المدّيّة والواو والياء المدّيتين حروف ساكنة وهي في المنظور الصّوتي الحديث حركات طويلة(٥٢).

والتفسير الصّوتي الذي تراه الدراسة مناسبًا في هذا التّحوّل هو كره العربيّة لتتابع الحركات خاصّة الحركات الطّويلة وهو ما لا يقبله النّسيج المقطعي(٥٣) وكما مُبَيَّن في التّحليل الأتي:

mustafaa + uuna → mustafa + una → mustafawna

إذ جرى حذف جزء من حركة الفتحة الطويلة وجزء من حركة الضمّة الطّويلة فتحوّلتا إلى حركتين قصيرتين، فحدث الانزلاق بينهما على صورة واوٍ (w) في حالة الرّفع وياءٍ (y) في حالتي النّصب والجرّ. ويُعد ما حدث إعادةً لتوازن الوحدة الغويّة أثناء مسيرتها في التّيّار الكلامي، وتُسمّى هذه الحالة بـــ(التكييفيّة التّوازنيّة) عن طريق تخفيض الكمّيّة الصّوتيّة في الصّوائت الطّويلة المتتابعة، وقد جرى التّحوّل وفق التّالي(٥٤):

aa+ uu+ na → aw + na

إذ اختُزلت الصّوائت القصيرة الأربع إلى صوت مركّب واحد (aw) تسهيلاً للنّطق.

٣- الجمع في صيغ المنقوص:

إذا جُمِع الاسم المنقوص جمعًا مذكّرا سالما فإنّ يائه تُحذَف، وقد تحدّث القدماء عن هذا الحذف وسببه، إذ يقول الاستراباذي: ((والمنقوص تُحذَف ياؤه ؛ وذلك لأنّها تنضم قبل الواو وتنكسر قبل الياء، والضمّ والكسر مُستَثقَلان على الياء المكسور ما قبلها طرفًا كما في: جاءني القاضي و مررتُ بالقاضي، وهذه الياء مع واو الجمع في حكم الطرف لعدم لزومها، والتقى ساكنان فحُذف أوّلهما كما في القياس في السّاكنَين اللذين أوّلهما حرف مدّ فضُمّ ما قبل الواو لمناسبتها للضمّة كما في الصّحيح، ولو أُبقيت الكسرة مع بقاء الواو بعدها لتعسّر النّطقُ بها، ولو قُلِبت الواو ياء لم يبق فرقٌ بين رفع الجمع وغيره من النّصب والجر))(٥٥). يُفهم من النّص أنّ الاسم المنقوص عند جمعه جمعًا مذكّرا سالما يمرّ بخَطَواتٍ عدّة، هي:

١-مرحلة الأصل، ففي حالة الرّفع : قاضِيُون، وفي حالتي النّصب والجر: قاضِيين.

٢-مرحلة حذف الحركة التي بعد ياء الاسم المنقوص (الضمّة أو الكسرة) وذلك استثقالاً ، ثمّ تلتها علامة الجمع.

٣-مرحلة حذف ياء الاسم المنقوص لالتقائها بالسّاكنَين (الواو أوالياء).

٤- التّعويض عن الكسرة المحذوفة بالضمّة لمناسبة الواو (علامة الجمع) في الرفع.

إنّ ما ذهب إليه القدماء من التقاء السّاكِنَين مردودٌ من وجهة النظر الصّوتيّة الحديثة؛ لأنّ الواو والياء علامتي جمع المذكّر السّالم ليستا صامتتين، وإنما هما حركتان طويلتان. فقدّم المحدثون تفسيراتٍ صوتيّة متعدّدة لما جرى لياء الاسم المنقوص عند اتّصالها بعلامة الجمع ترتكز جميعها على المقطع، والذي تراه الدّراسة مناسبًا أنّ توالي ثلاثة مقاطع مفتوحة يسبّب نطقها ثقلاً بارزًا ، لذا توجّب على اللسان العربيّ التّخلّص منه عن طريق المخالفة الكمّيّة إذ أدّت إلى تخفيض الكمّيّة لتعيد التّجانس الصّوتي لتيّار الكلام[٥٦] وكما موضّح في التّحليل الصّوتي الآتي:

(القاضي + ونَ) alqaadii + uuna → al/ qaa/ duu/ na

حُذِفت الكسرة الطويلة تجنّبًا لتتابع الحركات، وفي حالتي النّصب والجرّ تُحذَف ياء الكلمة كذلك كما في التّحليل الآتي:

(القاضي + ينَ) alqaadii + iina → al/ qaa/ dii / na

المطلب الثّالث- الأسس الصّوتيّة للتّغيّرات الصّرفيّة في بنية الفعل المعتلّ:

أولاً- الفعل النّاقص وقضاياه من المنظور الصّوتي

ذهب علماء العربيّة إلى أنّ الفعل المعتلّة لامه بأحد الصوتين (الواو والياء) هو الفعل النّاقص، وسمّي ناقصًا لنقصان آخره من بعض الحركات[٥٧]. فهو في ضيغ المضارعة لا يقبل دخول ضمّة الإعراب عليه سواء أكانت لامه ألفًا أم واوًا أم ياءً، ولا يقبل دخول الفتحة حال نصبه إذا كانت لامه الفتحة الطّويلة[٥٨]. وعُدّ هو والفعل المقصور أفعالا معتلّة لقول ابن جنّي: ((أمّا المعتل فهو كل فعل وقعت في آخره ألف أو واو أو ياء...))[٥٩]. والشّائع في كتب النّحو تسميته بالمنقوص، ويعرّفونه بأنّه فعل لامه الواو أو الياء[٦٠]. تتّضح حقيقة هذه الأفعال الصّرفيّة في نظر القدماء في أنّها أفعال ثلاثيّة الأصول، وأنّ أصواتها العلل تعرّضت للتّغيير بالقلب ، وهذا يدلل على أنّ القدامى عاملوا أصوات المدّ معاملة الصّوامت، وهو مخالف لما تقرّه الدّراسات الحديثة كما سيتّضح فيما بعد.

١- الفعل الماضي النّاقص وقضاياه الصّوتيّة:

أ) صيغة (رمى، و دعى): يرى علماء الصّرف أنّ أصل (رمى) : رَمَيَ، وأصل (دَعى): دَعَوَ، تحرّكت الواو والياء وانفتح ما قبلهما فقُلِبَتا ألفين، يقول سيبويه (في باب ما كانت الياء و الوو فيه لامات) : ((اعلم أنّهنّ لامات أشدّ اعتلالاً وأضعف؛ لأنّهن حروف إعراب وعليهنّ يقع التنوين والإضافة إلى نفسك بالياء والتثنية ...))[٦١]. وإنّ الحرف ينقلب أبدًا إلى حرفٍ مُتّفق مع الحركة السابقة عليه، ويتّضح ذلك من قول سيبويه: ((وإذا كانت الياء والواو قبلها فتحة اعتلّت وقُلِبت ألفًا...))[٦٢].

يتّضح مما تقدّم أنّ الألف في نهاية الفعل الماضي منقلبة عن الياء أو الواو، وهذا القلب مشروط بانفتاح ما قبل الياء والواو، كما أنّ القلب يكون أبدًا إلى حرف من جنس الحركة التي قبل الحرف

المنقلب. أمّا عن تعليل هذا القلب فقد عزاه ابن جنّي إلى أنّ العرب ((استثقلوا من ذلك اجتماع الأشباه ؛ لأنّ الحروف مضارعة للحركات))[٦٣] . يريد من كلامه هذا أنّ الثّقل النّاجم عن اجتماع الواو والياء والحركتين المصاحبتين لهما، فيحدث القلب للفرار من تتابع المتجانسات التي هي الحركات و صوتي العلّة الواو والياء[٦٤]. ما قاله علماء العربيّة لا يكفي، فلابدّ من تفسير الظّاهرة الصّوتيّة بالسياق الصّوتي الذي ورد فيه صوت العلّة فيكون تفسيرًا منطلقًا من القاعدة الصّوتيّة التي مفادها ((تُحذَف شبه العلّة واوًا كانت أو ياءً، وسطًا كنت أو طرفًا حين تقع بين علّتين قصيرتين – مصوّتين قصيرين–))[٦٥]، ويتّضح ذلك من المعادلة الصّوتية الآتية:

د ـَ عـــ ـَـــ : dacaa → د ـَ عـــ ـَ و ـَ : daca-w-a

ر ـَ مـــ ـَـــ : ramaa → ر ـَ مـــ ـَ يـــ ـَ : rama-y-a

فسقطت الواو والياء (w, y) من بين الحركتين ، وامتدّ نطق حركة عين الفعل باتّحاد الفتحتين دون فاصل بينهما. فبنية الفعل (رمى، و دعى) تشتمل على ثلاثة مقاطع قبل حدوث الإعلال بها ((والسّر وراء هذا الحذف إنّ المقطع الأخير مكوّن من حركتين قصيرتين في الأصل (a+u) و (i+a) وذلك لأنّ الواو والياء تشأتا نتيجة الانزلاق بين المصوّتين القصيرين وهو مقطع غريب عن نسيج اللغة؛ فلذلك تسقِط اللغة العنصر الأصلي في الازدواج وهو الضمّة (u) أو الكسرة (i) وهو الذي ينشأ عنه الانزلاق، أي لام الكلمة فاتّصلت الفتحتان القصيرتان لتصبحا فتحة طويلة))[٦٦] فهو إذن ثلاثي الأصل ثنائي المنطوق[٦٧].

ب) الماضي النّاقص مع لاحقة الجمع: عند إسناد الماضي النّاقص إلى واو الجماعة تُحذَف لامه فيقال في (غزا و رما): غزَوا، رَمَوا، ويرة الصّرفيّون أنّ الفتحة على عين الفعل للدلالة على أنّ المحذوف الألف. يقول ابن يعيش: ((وأمّا ضمّه[*] فعند اتّصاله بالواو التي هي ضمير جماعة الفاعلين المذكرين نحو : (ضربوا و كتبوا) ؛ لأنّ الواو هنا حرف مدّ لا يكون ما قبلها إلّا مضمومًا. فإن قيل... (رَمَوا و غَزَوا) فيكون ما قبلها مفتوحًا قبل الأصل (رَمَيُوا و غَزَوُوا) فتحرّكت الياء والواو وانفتح ما قبلهما فقلبا ألفين ثمّ وقعت الواو التي هي ضمير الفاعل بعدها، فحُذِفَت الألف لالتقاء السّاكنين وبقيت الفتحة تدل على الألف المحذوفة))[٦٨]. وبناءً على ذلك تتحدّد عمليّات تحوّل صيغة الماضي النّاقص عند إسناده إلى واو الجماعة كما يلي:

رَمى + واو الجماعة (وا) ← رَمَيُوا ← رَماو ← رَمَوا

الفعل + لاحقة الجمع — تُقلب ياؤه ألفًا — يُحذف أول الساكنين وهو الألف — الصيغة النهائية

واختلف الرّضي مع ابن يعيش في أنّ لاحقة الجمع لا تدخل على أصل اللام في (رمى) ، وإنّما تدخل

على اللام مُعَلَة، فتلتقي الألف طرفًا بواو الجماعة السّاكنة ويُحذَف السّاكن الأوّل وبذلك لا يفترض وجود صيغة (رَمَيُوا) ضمن مراحل تصريف الفعل (رَمَوا)[٦٩] وكما موضّح:

رَمى + واو الجماعة ← رَماو ← رَمَوا (حذف الألف منعًا لالتقاء السّاكنين)

وبذلك يكون مذهبان لتفسير صيغة الماضي الناقص المتّصل بواو الجماعة هما: مذهب الجمهور الذي يرى أنّ واو الجمع تلحق بالفعل (رمَى) مُصَحِّح الياء فتنشأ صيغة (رَمَيوا) [٧٠]، ومذهب الرضي وتبعه ابن عصفور والذي يرى أنّ واو الجمع إنّما دخلت على الألف آخر (رَمى) المُعَلّ[٧١] . إنّ التّحليل الصّوتي الحديث ينظر إلى العمليّات التحوّليّة التي طالت صيغة الماضي النّاقص عند إسناده إلى واو الجماعة نظرة صوتيّة خالصة عن طريق تعامله مع الصّيغة المنطوقة لا التّقديريّة. فعندما تتّصل لاحقة الجمع (الواو) بصيغة (غزا) مثلا سوف تجتمع الفتحة الطّويلة بضمّتي الضّمير كما موضّح:

غـــَ / ز ـــَ ـــُ

فيُصار إلى اختصار الفتحة الطّويلة فتصبح قصيرة ويحدث الانزلاق بينهما وبين ضمير الجماعة فينشأ في النّطق واو نتيجة اجتماع حركات مختلفة[٧٢]، وكما موضّح في الكتابة الصّوتيّة:

gazaa+ uu → gazauu → gazaw

فبقاء المدّ قبل المقطع الواقع فيه السّكون ترفضه العربيّة كسياق صوتي في صيغها.

٢- الفعل المضارع ا لمعتلّ وقضاياه الصّوتيّة:

أ) صيغة (يدعو ، و يرمي)

ذكر علماء العربيّة أنّ مضارع الأفعال المعتلّة الآخر بالواو تأتي على وزن (يَفْعُلْ) بضمّ العين، ومضارع الأفعال المعتلّة الآخر بالياء تأتي على وزن (يَفْعِل) بكسر العين قياسًا على الصّيغ الصّحيحة من جانب، ولئلا تلتبس ذوات الياء بذوات الواو من جانب آخر. ومصداق ذلك قول ابن عصفور: ((ألا ترى أنّ مضارع (غَزا) لو جاء على (يَفْعِلْ) لقلت: (يَغْزي) فيصير كـــ (يَرْمي) وكذلك مضارع (رَمى) لو جاء على (يَفْعُلْ) لقُلت: (يَرْمو) كـــ (يَدعو)، فالتزموا في مضارع ذوات الواو (يَفْعُلْ) وفي مضارع ذوات الواو (يَفْعِلْ) لئلا تختلط ذوات الياء بذوات الياء))[٧٣].

والمتتبّع في أقوال الصّرفيين والنّحاة يجد أنّهم ساووا بين عين المضارع المعتلّ الآخر وعين المضارع الصّحيح في أنّ كليهما مكتنف بالحركة ، فـــ(يدعو) مثل (يكتب) ووزنهما (يَفْعُلْ) بضمّ العين، و(يرمي) مثل (يضرِب) ووزنهما (يَفْعِل) بفتح العين، وتمثّل الياء في (يرمي) والواو في (يدعو) والألف في (يخشى) لامات الفعل، ووزن الأفعال على التوالي (يَفْعِلْ، يَفْعُلْ، و يَفْعَلْ) . أمّا عن إعراب المضارع المعتلّ الآخر فذكر علماء العربيّة أنّ إعرابه بالحركات كإعراب الصّحيح بالأفعال وإعراب الأسماء النّاقصة، فتُقَدَّر الضّمّة على الواو أو الياء للثّقل في نطقها، يقول ابن

عصفور: ((فتُحذَف الضمّة لاستثقالها في الياء والواو لأنّهما مع الواو بمنزلة واوين، ومع الياء بمنزلة ياء مع واو وذلك ثقيل))[٧٤]. وأيّد ذلك ابن يعيش بقوله: ((واعلم أنّك إذا قلت: يَغزو و يرمي ويخشى فعلامة الرّفع ضمّة مقدّرة استثقلَ اللفظ بها على واو مضموم ما قبلها وعلى ياء مكسور ما قبلها فحُذفت والنيّة فيها الحركة))[٧٥] لذلك جاءت تسميته بالنّاقص لنقصان إعرابه في حالتي الرّفع والجر[٧٦].أحدثت قضيّة الثّقل الإعرابي إشكالات صوتيّة صرفيّة تمثّلت في ذهاب جمهور اللغويين إلى أنّ الواو والياء المدّيتين حرفا إعراب، يمثّلان لام الكلمة لذا فتُقَدّر عليهما الحركات إن لم تظهر. ولعلّ مانع الثقل الإعرابي لا تقرّه الحقيقة الصّوتيّة لماهيّة الواو والياء المَدّيتين[٧٧] ولو قارننا بين الفعل المضارع الصّحيح والفعل المضارع المعتلّ مقطعيًّا وهما في حالة الرّفع لوجدنا أنّ الفرق يكمن في الكميّة الصّوتيّة للمقطع الأخير وكما موضّح في التّقطيع الآتي:

يَدعو: يـ ـَ د / عـ ـُ ـْ	يَكْتُبُ: يـ ـَ كـ / تـ ـُ ـْ / بـ ـُ
ص ح ص / ص ح ح	ص ح ص/ ص ح/ ص ح

فالإعراب تامّ في الفعلين كليهما، وإنّه لا يوجد فارق بينهما من جهة العلامة الإعرابيّة وظهورها إلّا في كمّيّة الحركة فهي طويلة في المعتلّ قصيرة في الصّحيح ومرتبطة بالموقع الإعرابي الذي يحدّده السّياق والقرائن الأخرى[٧٨]، فليس ثمّة ما يستدعي التّقدير الحركي.

ب) جزم المضارع النّاقص: ذهب علماء العربيّة إلى أنّ دخول أداة الجزم على الفعل المضارع النّاقص تؤدّي إلى حذف الواو أو الياء، يقول ابن السرّاج: ((فإن دخل الجزم اختلفا في الوقف والوصل، فقُلت: لم يغزُ و لم يرمِ فحذفتَ الواو والياء، كذلك في الوصل تقول: لَم يغزُ عمرا ولم يرمِ بكرا، وإنّما حُذفت الواو و الياء في الجزم إذا لم تُصادف الجازم حركة يحذفها، فحُذفت الواو والياء لانّ الحركة منهما وليكون للجزم دليل))[٧٩]. وذهب ابن عصفور إلى أنّ الغاية من الحذف هي إيجاد التّباين بين حركات الإعراب لئلا يلتبس لفظ المرفوع بلفظ المجزوم فيقول: ((وإنّما حذفت الواو والياء في الجزم لئلا يكون لفظ المرفوع كلفظ المجزوم لو أبقيت الواو، وأيضًا فإنّ الواو والياء لمّا عاقبتا الضّمّة فلم تظهر معهما أُجريتا مجرى الضّمّة فحُذفتا للجزم كما تُحذف الضّمّة))[٨٠]. ولم يختلف الأمر عند المتقدّمين من علماء النّحو، فقد ذهب ابن يعيش المذهب نفسه في سقوط الواو والياء في الجزم[٨١].

إنّ الأفعال النّاقصة تنتهي بمصوّتات طويلة (حركات طويلة) والمصوّت الطّويل في الدّرس الصّوتي يساوي حركتين قصيرتين من جنسه كما يظهر في الكتابة الصّوتيّة:

يَدْعو: يـــ ـَ د/ عـــ ـُـُ yad/ cuu

وبناءً على ذلك لابدّ من تفسير جزم المضارع النّاقص بمقتضى القوانين الصّوتيّة إذ تصبح الأفعال المضارعة النّاقصة منتهية بمصوّتات قصيرة عند دخول الجازم عليها ((وعلامة الجزم في هذه الأفعال هي حذف الحركة وهو هنا حذف جزئي حيث تُقّصَّر الحركة الطويلة... وبقاء قسمها الآخر ضروري لإتمام المقطع، فلو حُذفت الحركة حذفًا لوقع محظورٌ في بناء الكلمة وهو تشكّل المقطع الأخير من صامت منفرد، وهذا مرفوض في بناء المقاطع العربيّة))[٨٢]. فنحن هنا أمام تحويل حركة طويلة إلى حركة قصيرة وهي عمليّة تقليل الكمّيّة الصّوتيّة لصوتي الواو والياء المدّيين، ولسنا أمام حذف كما عبّر عنه علماء العرب القدامى[٨٣] . ومصطلح الحذف يدلّك على مدى تأثّر علماء العرب القدامى الجانب الخطّي وإغفالهم الجانب الصّوتي[٨٤].

ج) جزم المضارع الأجوف: حذف حرف العلّة (الواو، الياء، الألف) علامة الجزم في المضارع الأجوف، هذا ما اتّفق عليه علماء العربيّة، ووقوع الحذف إنّما جاء لسبب التقاء السّاكنين، سكون اللام للجزم وسكون حرف العلّة، اعتقادًا من القدماء بأنّ أصوات المدّ سواكن[٨٥]. يقول المبرّد: ((لم يكُن، وهو الوجه، أُسكِنت النون للجزم، فحُذِفت لالتقاء السّاكنين كما تقول: لم أَقُلْ و لم أَبِعْ))[٨٦]. ومما يؤخَذ على القدماء إنّهم عاملوا أصوات المدّ معاملة الصّوامت بجعلهم إيّاها سواكن.

وترى الدراسات الصّوتيّة الحديثة أنّ أصوات المدّ حركات طويلة قُصِّرت عند الجزم تفاديًا لوقوع المقطع المرفوض في العربيّة (ص ح ح ص) والكتابة الصّوتيّة توضّح ذلك:

يَقولُ: ya/quu/lu ← لَمْ يَقول: lam/ ya/ quul ← لَم يَقُلْ: lam/ ya / qul

ص ح ح ص ص ح ص

فالتحليل الصّوتي للبنية في حالة الجزم يُبيّن أنّ الحركة الطّويلة قد قُصِّرَت لتتناسب والنّظام المقطعي العربي[٨٧].

الهوامش

(١) ينظر: التعريف بعلم اللغة، دايفيد كريستل، ترجمة : حلمي خليل، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، فرع الاسكندرية ، ط١، ١٩١٩م. حاشية رقم واحد ص٩٨.

(٢) دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال، عبد المقصود، ١٤.

(٣) ينظر: علم اللغة –الأصوات– كمال بشر ١٨٥.

(٤) ينظر: مفهوم علم الصّرف، كمال بشر، مجلّة مجمع اللغة العربية ، القاهرة، ج٢٥، ١٩٦٩م، ص٢٢.

(٥) ينظر: دراسة في قواعد النّحو العربي ٦٣.

(٦) ينظر: الكتاب ١٥٨/١.

(٧) ينظر: علم الأصوات النّحوي ١٧٣.

(٨) ينظر: الممتع في التّصريف ٥٣٥/٢، و شرح المفصل ١٠٤/١٠.

(٩) ينظر: الحركات في اللغة العربيّة، زيد القرالة ١٠٧، وعلم الصرف الصوتي ٤١٤.

(١٠) ينظر: دراسة البنية الصّرفيّة في ضوء اللسانيّات الوصفيّة ٢٤٧.

(١١) كتاب الموسيقى الكبير ١٠٧٢.

(١٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار ٢١/٧ نقلا عن (المقطع في بنية الكلمة العربية) ص٢٥.

(١٣) ينظر: التفكير اللساني ، عبد السلام المسدي ٢٦٢-٢٦٤.

(١٤) ينظر: تلخيص الخطابة ، ابن رشد ، تحقيق: محمد سليم سالم،(القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، لجنة إحياء التّراث الإسلامي، ١٩٦٧م). ٢٨٤

(١٥) ينظر: التفكير اللساني ٢٦٢-٢٦٣، و الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث ، حسام البهنساوي ، (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ط١، ٢٠٠٥م) ٢٢٩.

(١٦) ينظر: علم الصرف الصوتي ١٤٦.

(١٧) دراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر ٣٧٨، وينظر: أسس علم اللغة ، ماريو باي ١٤٧، والأصوات اللغوية ، أنيس ١٧٩-١٨١، وعلم الصّرف الصّوتي ١٤٦.

(١٨) ينظر: دراسات صوتيّة و صوتية صرفية في اللغة العربية ، محمد جواد النوري ١٦٦.

(١٩) دراسة البنية الصرفية ، عبد المقصود ٢٣٩.

(٢٠)ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ٣٨٦

(٢١) ينظر: الأصوات اللغويّة ، أنيس ١٨٣.

(٢٢) ينظر: الإيضاح في علل النّحو ١٢٤.

(٢٣) ينظر: أسرار العربية ، ابن الأنباري ٤٧-٤٨.

(٢٤) ينظر: الكتاب ١٧/١، والإنصاف، ابن الأنباري ٣٣/١، والتبيين، العكبري ٢٠٤، وعلل التثنية ، ابن جني ٦٣.

(٢٥) ينظر: علم الصّرف الصوتي ٣٦٦، والمنهج الصّوتي للبنية العربية ١٢٦.

(٢٦) ينظر: أسرار العربية ، ابن الأنباري ٥٦، وعلل التثنية ، ابن جني ٥٨، وشرح الأشموني ٩/١، وهمع الهوامع ٤٩/١.

(٢٧) ينظر: دراسة صوتية تحليلية لحركة الاعراب وحرفه ١٠٧.

(٢٨) ينظر: علم الصرف الصّوتي ٣٦٦.

(٢٩) ينظر: شرح شذور الذّهب ٦٥.

(٣٠) ينظر: التبصرة والتذكرة ٨٣/١.

(٣١) شرح الكافية ، ابن مالك ٨٦/١.

(٣٢) ينظر: التبصرة والتذكرة ٨٣/١.

(٣٣) ينظر: التّحولات الصوتية في بنية الاسماء ١١.

(٣٤) الكتاب ٣٨٦/٣.

(٣٥) ينظر: المرجع السابق ٣٨٦/٣، و المقتضب ٤٠/٣

(٣٦) المقتضب ٤٠/٣.

(٣٧) ينظر: التفسيرات الصّوتيّة ٦٢.

(٣٨) المنهج الصّوتي للبنية العربيّة ١٢٧.

(٣٩) ينظر: دراسة في البنية الصّرفيّة ٢٧٩.

(٤٠) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربي ١٢٧.

(٤١) ينظر: التحولات الصوتية في بنية الاسماء ١٩.

(٤٢) ينظر: شرح شذور الذهب، ابن هشام ٦٦.

(٤٣) ينظر: التبصرة والتذكرة ٨٤/١.

(٤٤) ينظر: الأشباه والنظائر، السيوطي ٢٨/١-٢٩.

(٤٥) ينظر: دراسة صوتية تحليلية لحرف الاعراب وحركته ٢١٢.

(٤٦) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية ١٢٧.

(٤٧) ينظر: التحولات الصوتية في بنية الاسماء ٣٧.

(٤٨) ينظر: مجيب الندا إلى شرح قطر الندى ١١٠/١.

(٤٩) ينظر: الكتاب ١٨/١، والتبيين ، العكبري ٢٠٤-٢٠٦، والإنصاف ٣٣/١-٣٥.

(٥٠) التحولات الصوتية في بنية الاسماء ٦٨.

(٥١) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق: طه عبد الحميد ، (مصر: وزارة الثقافة، ١٩٧٠م) ٥٨/١.

(٥٢) ينظر: الصّرف العربي التّحليلي، يحيى عبابنة ٣١٤.

(٥٣) ينظر: المنهج الصّوتي في البنية العربيّة ٢٩، و علم الأصوات ، ديزيرة سقالة ٧٢، وعلم الصّرف الصّوتي ٣٧٨، ودراسة في البنية الصّرفيّة ٢٨٠.

(٥٤) ينظر: علم الصّرف الصوتي ٣٧٧-٣٧٨.

(٥٥) شرح الكافية ، الاستراباذي ١٧٩/٢، وينظر: التكملة، الفارسي ٢٣١.

(٥٦) ينظر: علم الصرف الصّوتي ٢٧٦، و دراسة في البنية الصّرفيّة ٢٧٨، والمنهج الصّوتي للبنية العربية ١٣٠.

(٥٧) ينظر: شرح مختصر التصريف العربي، التفتازاني ١٣٦، ونزهة الطرف ، الميداني ١٣.

(٥٨) ينظر: الكتاب ١٩٧/٤-١٩٨، والمقتضب ١/ ٣٩٣، والمنصف ، ابن جني ١٩٠/٢.

(٥٩) اللمع، ابن جني ١٢٤.

(٦٠) ينظر: شرح الشافية للرضي ٣٢/١، وارتشاف الضرب ١٦٠/١، والمزهر، السيوطي ٣٩/٢.

(٦١) الكتاب ٣٨١/٤.

(٦٢) المرجع نفسه ٣٨٣/٤.

(٦٣) المنصف ١١٦/٢.

(٦٤) ينظر: المرجع نفسه ٢٤٧/١.

(٦٥) ترتيب تطبيق القواعد الصّوتيّة في اللغة العربيّة ، داوود عبده ١١٢.

(٦٦) دراسة البنية الصّرفيّة ٢٧٠.

(٦٧) ينظر: المنهج الصّوتي للبنية العربية ٨٧.

(٦٨) شرح المفصّل ٦/٧.

(*) أي ضمّ آخر الفعل الماضي.

(٦٩) ينظر: شرح الشافية للرضي ١٥٩/٣-١٦٠، وشرح المفصل ١٢٠/٩.

(٧٠) ينظر: الكتاب ١٥٦/٤، ١٩٢-١٩٣.

(٧١) ينظر: الممتع ، ابن عصفور ٥٢٧/٢-٥٢٨.

(٧٢) ينظر :دراسة البنية الصّرفيّة ٢٧٢، والفعل الناقص دراسة صوتيّة ٢٣٤.

(٧٣) الممتع في التّصريف ٥٣٠/٢.

(٧٤) المرجع نفسه ٥٣٥/٢.

(٧٥) شرح الملوكي ٣٤٥، وينظر: الأصول ، ابن السراج ٦٥/٢.

(٧٦) ينظر: الأصول ٦٤/٢، واللمع ١٢٤.

(٧٧) ينظر: الثقل الإعرابي بين الحقيقة الصّوتيّة والتّحليل النّحوي ٢٣٧.

(٧٨) ينظر: القرينة الصّوتيّة في النّحو العربي ٨٨.

(٧٩) الممتع في التصريف ٥٣٥/٢.

(٨٠) الأصول في النحو ، ابن السراج ١٦٤/٢.

(٨١) ينظر: شرح المفصّل ١٠٤/١٠.

(٨٢) الحركات في اللغة العربية، زيد القرالة ١٠٧، وينظر: علم الصرف الصوتي ٤١٤.

(٨٣) ينظر: الأصوات اللغوية ١٥٨.

(٨٤) ينظر: دراسة في قواعد النحو العربي ٧.

(٨٥) ينظر: الكتاب ١٥٦/٤-١٥٧، وشرح المفصل ١٢٠/٩-١٢٣.

(٨٦) المقتضب ١٦٧/٣.

(٨٧) ينظر: علم الصّرف الصّوتي ٤١٤، والحركات في العربيّة ١١٨.